

معرف الكائن الرقمي للمقال: 10.54239/2319-022-003-011 (DOI)

علماء المغرب الأوسط المجاورين لبلاد الحجاز وإسهاماتهم
في علوم اللغة العربية وأدائها

Middle Maghreb Scholars Neighboring Hijaz and Their
Contributions to the Sciences of Arabic Language and Literature

ط.د. ريمة لزرق

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر - الجزائر

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية لشمال إفريقيا - تيارت- الجزائر

Lezrak.rima@univ-mascara.dz

أ.د. أمحمد بوشريط

جامعة مصطفى الإسطمبولي - معسكر- الجزائر

Mhamed.bouchrit@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2023/08/01 تاريخ المراجعة: 2023/08/30 تاريخ القبول: 2023/10/21

الملخص :

يتناول هذا المقال في ثناياه نماذج من علماء المغرب الأوسط المتخصصين في علوم اللغة العربية وأدائها المجاورين لبلاد الحجاز خلال الفترة (7-9هـ/13-15م)، والذي يُعرف على إسهاماتهم ونشاطاتهم في إثراء الحركة العلمية والمعرفية في مجال اللغة العربية وأدائها، إضافة إلى المكانة العلمية التي كان قد وصل إليها العلماء من تدريس وإقراء في الحرمين الشريفين، خاصة وأن المجاورة أضافت على رحلتهم عملية التلاقح والتواصل والاستمرار والتوسع في رحاب النخب العلمية المتخصصة في علوم اللغة العربية، سواء العلماء الأصليين لبلاد الحجاز أو الوافدين إليها، لذلك نجد أننا مكة المكرمة والمدينة المنورة أصبحت ملتقى التحوار والتذاكر للكثير من علماء اللغة العربية النابغين والمفكرين، وخير شاهد على ذلك إنجازاتهم والدور المؤثر لهم و تراجهم الموجودة في كتب الرحلات وأثارهم العلمية من شعراً ونثراً



ومناظرات علمية وتدرساً وتلقين، وهي العملية التي ستتواصل وتصيح أحد أهم الروافد العلمية التي تشجع على بقاء العلماء وطلبة العلم في الحجاز، والقيام بالمجاورة وهو الأمر الذي سيؤدي إلى نمو الحركة العلمية، وانتقال المزيد من العلماء من المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: العلماء؛ المجاورة؛ الرحلة؛ العلوم؛ اللغة العربية؛ الادب؛ الشعر؛ المناظرات.

Summary

This article deals with models of Middle Maghreb scholars specialized in the sciences of Arabic language and literature adjacent to the Hijaz during the period (BC 7-BC 9 AH / BC 13-BC 15 AD), which is known for their contributions and activities in enriching the scientific and cognitive movement in the field of Arabic language and literature, in addition to the scientific status that scientists had reached from teaching and reading in the Two Holy Mosques, especially since the neighboring added to their journey the process of cross-fertilization, communication, continuity and expansion in the scientific elites specialized in the sciences of Arabic Language, whether scientists The originals of the Hijaz or the expatriates on it, so we find that I Makkah and Medina have become a meeting place for dialogue and tickets for many brilliant Arabic language scientists and thinkers, and the best witness to this is their achievements and the influential role of them and their translations found in travel books and their scientific effects of poetry, prose, scientific debates, study and indoctrination, a process that will continue and become one of the most important scientific tributaries that encourage the survival of scientists and students of science in the Hijaz, and to do the neighborhood, which will lead to To the growth of the scientific movement, and the movement of more scientists from the Middle Maghreb.

Keywords: scientists, neighborhood, journey, science, Arabic language, literature, poetry, debates

مقدمة:

شكلت الرحلة العلمية لعلماء المغرب الأوسط طيلة الفترة (ق7-9هـ/13-15م) نحو بلاد الحجاز، مظهراً من مظاهر تطور الثقافة ببلاد المغرب الإسلامي ورابطاً لتواصل

العلمي بين المشرق والمغرب الإسلاميين خلال تلك القرون، مما أدى إلى إفراز تفاعلاً حضارياً أدى إلى اكتمال الشخصية العلمية ونضوجها في القطرين، وبحكم أن الحجاز آنذاك كان ولا يزال وسيظل مركز لتجمع المسلمين من مختلف أنحاء المعمورة، فضل المسلمون الذهاب (كدارسين ومدرسين) بنية الحج أو الاحتكاك بالعلماء والمشايخ هناك لأخذ العلم عليهم... هذه الصورة العلمية حفزت علماء المغرب الأوسط عموماً وعلماء اللغة العربية خصوصاً على الانتقال إلى المشرق -بلاد الحجاز- وهي الحركة التي لم تتوقف سواء على المدى القريب أو البعيد، بل استمرت برغم من تغيير الظروف السياسية والثقافية، فكان طلاب المغرب الأوسط يتركون بلادهم فيتوجهون إلى مراكز العلم المنتشرة ومنها الحجاز، حيث بات المثقف المغربي لا يعد نفسه متقفاً مكتملاً الثقافة إلا إذا قام برحلته إلى بلاد المشرق وجاور الحرمين الشريفين (مكة المكرمة، المدينة المنورة) ونهل من معين علمائها والعلماء المجاورين لها.

استطاعت هذه الكوكبة من علماء المغرب الأوسط أن ترنوا بفكرها وأن تساهم بشكل كبير في بناء وتنشيط وتدریس اللغة العربية بها.

ولنوضح الكيفية التي تم من خلالها رحلة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز والمجاورة هناك نطرح الإشكال التالي: لماذا حظيت اللغة العربية وآدابها بعناية علماء لمغرب الأوسط المجاورين في بلاد الحجاز؟

الدراسات المنجزة حول المجاورة بصفة عامة كثيرة نوعاً ما، أما الدراسات الخاصة بفئة المجاورين من علماء اللغة العربية وآدابها قليلة، كتلك التي قام بها الباحث عبد الرؤوف زواري أحمد في أطروحة الدكتوراه الخاصة به والتي تحمل عنوان العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين (7ق-9ق هـ/13ق-15ق م) والذي ذكر مجموعة من علماء المغرب الأوسط المختصين في اللغة العربية الذين فضلوا البقاء في الحجاز ومجاورة الحرمين الشريفين.

وبتالي لا تتوفر دراسة مستقلة حول هذه الفئة لذلك ارتأيت الخوض لإنجاز هذا المقال للعديد من الاعتبارات:



أولاً: أردت من خلال هذه المقال أن أساهم في حقل المجاورة من حيث هو ميدان واسع جمع بين القطرين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي.
ثانياً: رصد عدد العلماء المتخصصين في العلوم اللغة العربية وآدابها وإسهاماتهم العلمية، وسبب مجاورتهم لمكة المكرمة والمدينة المنورة.
رابعاً: الكشف عن أهم مظاهر التأثير والتأثير بين المغرب الأوسط والحجاز.
وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اتبعت المنهج التاريخي وذلك لجمع المادة التاريخية المتفرقة في مختلف المصادر التاريخية.

1/ ماهية المجاورة:

تمثل المجاورة واحدة من العمليات المهمة التي قام بها علماء المغرب الأوسط للاحتكاك والأخذ عن علماء كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والاستزادة من علمهم والبقاء بدار الرسول ومسقط رأسه وبجواره.

1-1- تعريف المجاورة:

أ- لغة:

يأتي معنى المجاورة في اللغة بمعنى المساكنة، حيث يقول جاور الرجل مُجَاوِرَةً وَجَوَّاراً والكسر أفصح، وجارك الذي جاورك، وفي الجمع أجوارا وجيرة وجيران (منظور، د.ت: 334)، واسم الجوار بالضم، يقصد به لاصقه في السكن والجار هو الذي يجاورك بيت بيت (محمد، د.ت: 114).

وتتضمن المُجَاوِرَةُ أيضاً معنى الإقامة في مكان ما، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا" (الاحزاب: 60 الآية)، وجاءت المجاورة أيضاً في السنة النبوية بمعنى الإقامة في مكان ما مدة معينة ففي بدء الوحي يحدثنا جابر بن عبد الله أن رسول الله قال "جأورت بحراء شهرا وبها قضيت جوارى فنزلت فاستنبطت بطن الوادي ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام" (مسلم، 1991: 139).

ب- اصطلاحاً:



أما من الناحية الاصطلاحية فيقصد بها مجاورة الحرمين أي المقام مطلقا غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي (منظور، د.ت: 103)، وهذا ما وجدت ابن منظور وصفه في كتابه لسان العرب بالثَوِيّ، والأمر هنا يجب أن يؤتى بمثال له، فيذكر هنا الأزهري الثَوِيّ والثَوِيّ والفرق بينهما، حيث ان الثَوِيّ هو الضيف بينما الثَوِيّ يراد بها المجاورة في الحرمين (الازهري، 1978: 456).

ويدعم هذا القول أيضا الزبيدي في كتابه تاج العروس أن الثَوِيّ هو المجاورة بأحد الحرمين (الزبيدي، د.ت: 307).

وهنا نقول أن المجاورة هي الاعتكاف في بيت الله، وشاهد في هذا المقام هو حديث السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في العشر الأواخر من رمضان " أي يعتكف به، وعند تقييد المجاورة بالمسجد تصبح بمعنى الاعتكاف، أي ملازمة المسجد بإلزام شرائط الاعتكاف الشرعي، وعند تقييدها بالحرمين تصبح بمعنى المقام في مكة المكرمة أو المدينة المنورة من غير تقييد الاعتكاف (الجوهري، 1990: 218).

1-2- مدة المجاورة:

أ- مدة المجاورة :

لا تمدنا المصادر بمعطيات صريحة وحقيقة حول مدة المجاورة ففي الغالب ما تلمح فقط، دون أن تمدنا ما إن كان هذا العالم أغيره قد جاور بالحجاز مدة من الزمن (القوطي، 2000: 166.165)، أو تؤكد بأنه جاور حتى توفي، وهناك من المصادر من تقر بطريقة غير مباشرة، من خلال التأكيد على بقاء أحد العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة فترة زمنية تمكن من خلالها من رواية الحديث ونشر العلم هناك (عبد العزيز بن راشد السندي، 2006: 28-29).

وثمة مصادر أخرى وضحت لنا مدة المجاورة التي أمضاها عدد من العلماء والطلاب في بلاد الحجاز، وقد أكدت لنا هذه المعلومات أيضا تفاوت مدة المجاورة بين عالم وآخر أو بين طالب وآخر فهي تخضع للظروف الخاصة والعامة ذات الصلة بحياة المجاور أو المجتمع الذي يحيط به

حيث هنالك فئة من المجاورين من بقيت في مكة المكرمة سنة كاملة، ومن هؤلاء: محمد بن محمد بن ميمون الجزائري المعروف بابن الفخار (ت801هـ/1399م) (الفاصي، 1986: 326)، ومن المجاورين من مكث سنتين وثلاثة إلى أكثر، من ذلك علي بن عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي (ت769هـ/1368م) (العسقلاني، 2013: 93) ومنهم من امتدت مجاورته من خمس سنوات إلى عشرة من أمثال: محمد بن محمد بن أبي قاسم المشدالي أبو الفضل (ت865هـ/1461م) (السخاوي، 1989: 25-26) ومن العلماء وطلاب العلم من كرر المجاورة أكثر من مرة ومن هؤلاء مثلاً: خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى بن محمد أبو الخير الصنهاجي (ت826هـ/1423م) الذي وصلت مجاورته الأولى بمكة المكرمة نحو عشرين سنة.

أما الذين فضلوا النزول الدائم في الحجاز فكان عددهم أعلى من عموم المجاورين من المغرب الأوسط - والذين ستكون فائدتهم على الحياة العلمية أكثر نفعا - نذكر منهم أحمد بن عيسى بن عياش العوكلي القسنطيني (ت860هـ/1456م) والذي كان قد استقر بمكة المكرمة وولي مشيخة أحد أربطتها (السخاوي، د.ت: 243).

2- الأهمية العلمية لبلاد الحجاز:

لزال الحجاز تكتسب مكانتها العلمية من مكانتها الدينية منذ ظهور الإسلام وإلى اليوم- وستبقى إن شاء الله إلى قيام الساعة- وقد اكتسب هذه المكانة العلمية والدينية كونها مركز إشعاع فكري وحضاري ، وقبله لقاصدي بيت الله ومسجد رسوله الكريم حيث لا تنفك قوافل الحجيج والمعتمرين أن تنقطع عنها كل عام (عامر مريقي وابراهيم بحاز 2021: 27-28)، استجابة لنداء الله سبحانه وتعالى "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٍ لِهِمْ وَيَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْبَوَاسِ الْفَقِيرَ ٢٨ (سورة الحج، الآية 27-28) وقوله الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧ (سورة ابراهيم، الآية 37).



مما جعلها ينبوعاً حضارياً بقدوم الناس من كل الأماكن والقاعدة الروحية لكل مسلم في أصقاع الأرض حيث أن مكة المكرمة تعتبر من أهم المراكز العلمية بالحجاز ويعزى هذا وازدهارها إلى وجود بيت الله الحرام، فضلاً عن وقوعها في منتصف الطريق بين الشام واليمن وقربها من ميناء جدة على البحر لأحمر (أحمد إبراهيم الشريف، 1985: 3-4)، مما جعلها مسلكاً للعلماء وطلبة العلم ما أكسبها أهمية علمية منذ أقدم العصور.

أما عن مدينة الرسول ﷺ فإنها تحتل المكانة الثانية في نفوس العالم الإسلامي بعد مكة المكرمة، لأنها مهجر الرسول وبها مسجده ﷺ، وقاطبة للمسلمين لأسباب جعلتها كذلك منها: أنه يوجد بها أعظم المساجد بعد المسجد الحرام فصلاة فيه تفضل عن غيره بألف صلاة كما ثبت في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "الصلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (البخاري، 2002، ص 1190) (ابن حجر العسقلاني، 2013: 426)، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى" (مسلم، 1991، 1394) (ابن حجر العسقلاني، 2013: 419)، وثاني هذه الأسباب هو نيل بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: "اللهم أجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة" (البخاري، 2002، ص 1885) (ابن حجر العسقلاني، 2013: 416)

فالمسلمون إجمالاً يسعون لنيل كل هذه الفضائل والنفحات الإيمانية هذا من الجانب الديني، أما من الجانب العلمي فهي مقصد وقبلة طلبة العلم والعلماء للنهل من معين علمائها الذين أثاروا جاورا والحرمين (مكة المكرمة، المدينة المنورة)، من أمثال: الطبري والسخاوي والفاسي وابن فهد... والقائمة تطول بذكر أسمائهم.

2-1- الأهمية العلمية لبلاد المشرق في مجال اللغة العربية وأدائها:

من البديهي جداً أن علماء المغرب الأوسط في العصر الوسيط تأثروا كغيرهم من علماء الأقطار الإسلامية إلى حد كبير بالأدب المشرقي، الذين كانوا قد تلقوه عن طريق شيوخه الذين قرأوا عليهم الكثير، وكان ذلك إما بالرحلة إليهم إلى بلاد الحجاز، وإما بقدوم علماء المشرق إلى أرض المغرب وبسطهم للعلم والتعلم فيه، ومن علماء اللغة

العربية الذين كانوا قد تركوا أثراً طيباً في بلاد المغرب وعكفوا على نشر هذا العلم نجد: العالم أبو علي القالي (ت 356هـ/967م) الذي لعبت رحلته دوراً كبيراً في تقدم العلوم اللغوية بهذا القطر، وحتى المغرب أيضاً لأنه كان قد زار بجاية فنفذ بعلمه الكثير من الطلبة والعلماء أيضاً (ميلود التوري، د، ت: 296).

كما بلغهم النحو المشرقي عن طريق الكتب التي نقلها إليهم الشيوخ الأوائل الذين كانوا قد قصدوا المشرق لطلب العلم والحج، وأولها مختصر الكساني (ت 587هـ/1191م) ثم كتاب سيبيويه (180هـ/796م) الذي تعلق به المغاربة أكثر من أي كتاب آخر، بحيث درسه المغاربة واختصروه وشرحوه، وهو الأمر الذي أعطى مكانة للمغاربة لدى المشاركة ونظرة تتسم بالاحترام والتقدير والاعتراف بالفضل أيضاً في تقديم الدراسات اللغوية والنحوية حتى أن المشاركة قالوا أن بضاعتهم ردت إليهم، كما أنه لم يثبت عن المغاربة "أنهم غلطوا سيبيويه أو جرحوا الكساني وشككوا في علم الزجاجي (ت 340هـ/923م) (علي أحمد، 2000: 15-45)، حيث أنهم وجدوا أنفسهم أمام إنتاج مشرقى أجهرهم فأقبلوا على تداوله، لذلك كانت المؤلفات المشرقية مصدراً أولاً لدراساتهم اللغة العربية وآدابها، أضف إلى ذلك أن تنقل علماء المغرب الأوسط الكثيف إلى المشرق واستقرارهم الدائم فيه، والذي كان واحداً من مظاهر التأثير الأن ثمة مغاربة كثير استقر بهم المقام هناك، وكان ذلك منذ القرن الأول مع أن تنقلهم إليه مرتبط في البداية بالحاجة الدينية ثم بطلب العلم.

2-2- نماذج من علماء المغرب الأوسط المجاورين المساهمين في علوم اللغة العربية وآدابها:

حظيت اللغة العربية والعلوم التي تندرج ضمنها باهتمام علماء المغرب الأوسط، وهذا الاهتمام يعود إلى أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وعلومه، وأنها لغة نشأة هؤلاء العلماء من صغرهم ووسيلة كلامهم والتعبير عن أفكارهم وتعاملاتهم، وهنا كانت اللغة العربية قد اكتملت معالمها في الحجاز بذلك نجدهم أنهم شرحوا وعلقوا أو أكملوا وأبدعوا عن سابقهم وتركوا مصنفاً ذاع صيتها أينما حلوا وارتحلوا.

2-2-1- علوم اللغة العربية:



-علم اللغة (أنظر التعليق رقم 1):

ليس غريبا أن يهتم علماء المغرب الأوسط باللغة العربية، فنجد منهم من أجاد وأفاد ومنهم من دون وسجل وألف فنجد مصنفاة في طيات الكتب و رفوف المكتبات ومدراجاتها، وأهم من أنتج في هذا العلم خلال الفترة المدروسة نجد: معمر بن يحيى بن عبد القوي البجائي المكي (ت 895هـ/1490م) وهو أحد علماء الفقه والعربية ولدا بمكة المكرمة نشأ وأقام بها، لازم أشهر علمائها من بينهم المحيي عبد القادر قاضي مكة المكرمة، وأقام بالمدينة المنورة مدة من الزمن، كان بارعاً في الأدب والإنشاء والنثر أقرأ وأفتى، وله في العربية "شرح على قطر الندى لابن هشام" وكان قد قرضه منه السخاوي (حاجي خليفة، د.ت: 1339-1340).

كما يعد ابن مرزوق الحفيد (842هـ) من المجاورين الذين أثروا وتأثروا كثيراً بالعلم في بلاد الحجاز أيضا، ساهم في إثراء علم اللغة في بلاد الحجاز بشرح واحدة من أهم قصائد أبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي بن زكرياء الشقرطيسي (ت 466هـ/1073م) في مدح النبي صل الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة الكرام تحت عنوان "المفاتيح القرطاسية في شرح الشقرطيسية" (أحمد بابا التميكتي، 2000: 506) حسب ما أورده التنبكتي، و "الغاية القرطاسية في شرح الشقرطيسية" حسب ما جاء به المقري (المقري، 1968: 429) وكان الشقرطيسي، قد أشتهر بقصيدته الشهيرة في مدح النبي وعرفت بـ "لامية الشقرطيسي" والتي تتكون من مائة وثلاثون بيتا، نقف عند عدد من الأبيات الشعرية التي استهل بها قصيدته:

هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّا أَحْمَدَ السُّبُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَنَّا بَاعِثَ الرُّسُلِ
حَايِرُ الْبَرِّيَّةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضْرٍ وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
تَوْرَاهُ مُوسَى أَتَتْ عَنْهُ فَصَدَقَهَا إِنْجِيلُ عَيْسَى بِحَقِّ غَيْرِ مُفْتَعِلِ

(الشقرطيسي، د.ت:ص3)

- علم النحو (أنظر التعليق رقم 2):

من أبرز علماء المغرب الأوسط الذين ساهموا في إثراء علوم اللغة العربية أثناء مجاورتهم لبلاد الحجاز بمؤلفات في علم النحو نجد:



ابن أبي بكر المقري (ت759هـ/1358م) من الزائرين و المجاورين بمكة المكرمة، و واحداً من الذين ألفوا في علم النحو فنجد له كتاب "شرح التسهيل" لكنه لم يكمله، كما صنف كتاباً سماه "شرح النظائر" وهو كتاب الأشباه والنظائر النحوية لصاحبه جلال الدين السيوطي، كما قام بإعراب "القرآن الكريم" كاملاً (شقيف محمد، 2011: 333-335).

-علم البيان (أنظر التعليق رقم3):

اعتنى علماء المغرب الأوسط وفقهاء بالدراسة علم البيان كفرع من الدراسات اللغوية، فاهتموا بالبلاغة وذلك لارتباطها الوثيق بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فكان الهدف من دراسة هذا العلم في تلك الفترة هو تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية وفهم محتوياتها، واختيار الأوضح منها مع فصاحة المفردات وتكمن ثمرة هذا العلم في فهم الإعجاز القرآني، يشتمل على التشبيه والمجاز والكناية (الهاشمي احمد، 2017: 247)، ونجد ثلة من علماء المغرب الأوسط الذين ساهموا في هذا المجال في بلاد الحجاز نذكر: عبد الواحد بن أبي دجلة التلمساني (776هـ-1374م) قال عنه ابن دجر "مهر في الأدب ونظم الكثير ونثر فأجاد وترسل ففاق، وعمل المقامات وغيرها" (ابن حجر العسقلاني، د.ت: 81)، حيث صنف كتاب مقامات.

كما ساهم العالم محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن زاغوا بشرح تلخيص القزويني " (القليصادي، 1978: 103-104)

2-2-2- علم الأدب:

وهو الإحاطة بكل من الفن المنظوم والفن المنثور على طريقة العرب ومناصبيهم، وينقسم إلى قسمين الشعر المنظوم: وهو عبارة عن كلام الموزون المقفى الذي تكون أوزانه على وتيرة واحد وهو القافي، والقسم الآخر، وهو الكلام المنثور أو الكلام غير الموزون، وللوصول إلى التفنن بالمنظوم والمنثور (ابن خلدون، 2002: 620).

-الشعر:



ازدهر الشعر مشرقا ومغربا خلال الفترة المدروسة (7-9هـ/13-15م) ازدهارا كبيرا وذاع صيته، ويعزى الفضل في ذلك إلى نشاط الحركة الفكرية والأدبية، وقد برزا شعراء كثر منهم:

-محمد بن عمر بن علي الجزائري المليكشي (ت بعد 816هـ/1360م) كان صدراً في الطلبة والكتاب، فقيهاً كاتباً أديباً، شهيراً ذا تواضع وإيثاراً وقبول حسن، رحل وحج، روى عن جماعة الحجاز ومصر... وكان قد مدح الناصر محمد قلاوون بمكة عندما قدمها حاجاً وقد قال فيه:

بَلَدُ رَمْلَةٌ مَا أَتَمَّ سَنَاكَ قَدْ فَضَّلَ اللَّهُ الْعَظِيمُ نَدَاكَ

قالت عائشة الصدوقة عندنا...فعدت لطيبة أن ترى مداكا(ابن حجر العسقلاني، 1971: 109-110)

أما الشاعر الذي كان له دور بارزا في الأدب وفنونه وذاع صيته في المغرب الأوسط والحجاز هو محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي(740هـ/1339م) له قصائد رائعة أبدع فيها منها:

قفي للسلى لَوَعَةَ الْبَيْنِ يَا عَلَوِي وَلَا يَكُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ يَا شَجْوِي
قفي ساعة في عرصة الدار وأنظري ... إلى عاشق ما يستفيق من البلوى(ابن حجر العسقلاني، 1971: 109-110)

ونجد أيضاً عبد الله بن عمر بن موسى البسكري: كان ذو ولاية عليية، ومقامات سنية، من المجاورين في الفترة الوسيطة والمشايخ الصلحاء من المنقطعين إلى الله تعالى ورسوله الكريم، أوى الى المدينة المنورة أقام بها مدة من الزمن بالمدرسة الشهابية، ثم ذهب الى رباط دكالة مكث به سنين طويلة منقطعا فقط الى العلم، كتب قصيدة طويلة كان يتغنى بها على مدينة طيبة، فكان الحافظ المؤرخ عبد الله بن محمد المطري(698-795هـ/1299-1393م) كثيرا ما ينشدها ويحفظها لإعجابه بها(الحفناوي، 1906: الصفحة 23):

دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ بِأَنْ تَهْوَاهَا.....وَتَجُنُّ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرَاهَا
وَعَلَى الْجُفُونِ مَتَى هَمِمْتَ بِزُورَةٍ..... يَا ابْنَ لِكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَغْشَاهَا

فَلَأَنْتَ أَنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِطَبِيبَةٍ.....وَوَظَلَّتْ تَرْتَعُ فِي ظِلَالِ رَبَّاهَا
مَغْنَى الْجَمَالِ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالَّتِي..... سُلِبَتْ عُقُولَ الْعَاشِقِينَ خَلَاهَا
لَا تَحْسَبِ الْمِسْكَ الزُّكِّيَ كَثْرَ بِهَا.....هَمِيمَاتِ أَيْنِ الْمِسْكَ مِنْ رَبَّاهَا
طَابَتْ فَإِنْ تَبَغِي لِطِيبِ يَأْفَتِي.....فَأَدَمَ الْأَسَاعَاتِ لَثْمَ ثَرَاهَا

وابن مرزوق الخطيب (781هـ-1379م)، الذي كان شاعرا مجيدا ينظم في الشعر في كل الأعراس منها قصيدة رائعة التي ألقاها في ليلة المولد النبي محمد صل الله عليه وسلم (763هـ/1362م) والتي تتكون من مائة وسبعة أبياتاً (ابن مرزوق ، 2008: 84) جاء في مطلعها:

أَيَا نَسِيمِ السَّحَرِ..... بِاللَّهِ بَلَّغْ خَبَرَ
إِنْ أَنْتَ يَوْمًا بِالْحَيِّ..... جَرَرْتَ فَضْلَ الْمُتَزَّرِ
ثُمَّ حَثَّتَ الْخَطُوبَ مِنْ.....فَوْقَ الْكَثِيبِ الْأَعْرَفِ
مُسْتَقَرِّ يَا فِي عُشْبَةٍ..... خَفِي وَطَى الْمَطَرِ
(ابن الخطيب، 2002: 110)

ومن نظمه أيضاً قصيدته المشهورة المسماة المنفرجة وهي عبارة عن قصيدة شعرية من مائة وثلاثون بيتاً وقد جاء في مطلعها:

اشْتَدِي أَرْمَةً تَتَفَرِّجُ..... لَا بُدَّ لِضَيْقِكَ مِنْ فَرَجٍ
إِنْ عَمَّ الْعُسْرُ مَعَ الْحَرْجِ..... أَبْشِرْ بِالْيُسْرِ وَالْفَرَجِ (ابن مرزوق ، 2008: 88)

وما قدمه عبد الواحد بن أبي دجلة لتلمساني (776هـ/1374م) وهو أحد علماء المغرب الأوسط الذين فضلوا المجاورة الدائمة في بلاد الحجاز في حقل الأدب "كتاب الأدب الغض"، وكذلك كتاب "سكردان الملوك" و"مختبئ الأديباء" و"أطيب الطيب" و"حاصل ليل" و"نحو مواصل المقاطع" و"نحو أعداء البحر" (ابن حجر العسقلاني، 1971: 08) (عادل نويهض، د.ت: 365)، وله بيت شعري قدم فيه نفسه بالمدح:

نُظِّمِي عَلَا وَأُصْبَحَتْ..... أَلْفَاظُهُ مُنَمَّقَةٌ
فَكُلَّ بَيْتٍ قُلْتَهُ..... فِي سَطْحِ دَارِي طَبَقَهُ (ابن حجر العسقلاني، 1971: 81)

وفي الهجاء كان قد برزا العالم محمد بن عبد القوي بن محمد التجاني المكي المالكي (852هـ/1448م) الذي كتب شعرا في الهجاء وقد نقل عنه الناس ذلك وجمعه النجم ابن فهد في مجلدا ومن شعره:

وَمِنْ عَجَبِ أَنْ الشُّمُوسَ طَوَّلَعَ..... وَأَنَّ اللَّيَالِي فَوَّقَهِنَّ شُعُور

سَلَبْنَ النَّهْيَ مِنِّي وَلَمْ نَدْرِ أَنَّنَا..... سُبَلْنَا وَلَمْ تَتَحَسَّسْ لِنَدِّكَ شُعُور (السخاوي، 2003:

(149

2-3- المخاطبات العلمية:

تمدنا المصادر التاريخية لكثير من أسماء العلماء الذين كانت لهم مراسلات مع نظرائهم من علماء وأدباء من القطر الآخر، إلا أن المعلومات هاته جد قليلة لا تغطي كل جوانب الموضوع، وغالب الأحيان ما يكون موضوع هذه المراسلات عن أحوال البلد، كالمراسلة التي كانت بين العالم محمد بن عبد القوي التجاني (852هـ/1449م) و العالم التغني بن القاضي، وكانت هذه الرسالة عبارة عن أبيات شعرية متبادلة فيما بينهما تحتوي أخبار بلاد الحجاز بعد وفاة تقي الدين الفاسي، والتي كان أورد السخاوي بداية هذه الرسالة:

يَا أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ دَمْتُ فِي نَعْمٍ..... مَدَى الزَّمَانِ مَصُونًا مِنْ تَقْلِبِهِ

هذا الذي كنت أرجوا أن أفوز به..... من فيض فضلك قد جاء البشير به (السخاوي،

2003: 71) وكان أبي عصيدة التجاني (856هـ/1460م) في وصف مشاعره بالمدينة المنورة

يقول في مطلعها :

ما حن والله قلب من تذكره وما تأوه مشتاق من الأسف

- خاتمة:

تناول هذه المقال علماء المغرب الأوسط المتخصصين في علوم اللغة العربية وآدابها المجاورين لبلاد الحجاز، ومدى إسهاماتهم في هذا العلم خلال فترة القرنين (7-9هـ/13-15م)، والذي حاولنا من خلاله أيضا الوقوف على أهم المظاهر وعوامل انجذاب واهتمام العلماء ببلاد الحجاز (مكة والمدينة المنورة) وذكر تأثيرها عليهم، فرحلتهم هنا شكلت نواة

تلاقح وتطور بين القطرين خاصة مع وجود الظروف المهيئة التي استقطبتهم، دون أن نغفل عن أهمية العوامل الأخرى، فنجد أن التواصل الفكري خلال هذه الفترة شكلا عاملا في ارتحالهم إلى المشرق عامة والحجاز خاصة باعتبارها منطقة بزوغ الإسلام

التعليقات:

-التعليق رقم 01: يعرف بأنه علم يبحث في مدلولات المفردات ومعانيها، وكيفية استخدام هذه المفردات ومدلولاتها لتوضيح في مكانها الصحيح والهدف من ذلك هو الاحتراز من الخطأ في فهم المعاني الوصفية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب (ينظر: صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرموق في بيان أحوال العلوم).

-التعليق رقم 02: يقال نحوت نحوك أي قصدت قصدك ونحوت الشيء إذا امتته، وفي الصرف يقال نحوت بصري إليه أي صرفت، ويقال: نحا الشيء وينحوه إذا حرفه، ومنه سمي النحوي نحويا لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الاعراب، وقد استعملت كلمة النحو كمصطلح متعدد الاستعمالات. (ينظر: ابن منظور . عبدة معمر بن مثنى، 1981، ج 1، ص 316).

-التعليق رقم 03: عرفه ابن خلدون بقوله: "فاشتمل هذا العلم المسى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيئات والأحوال والمقامات، وجعل على ثلاثة أصناف الصنف الأول الذي يبحث في الهيئات والأحوال وهو علم البلاغة والصنف الثاني يبحث في الاستعارة والكناية وهو علم البيان والصنف الثالث ينظر في تزيين الكلام وتحسينه وهو علم البديع.. ينظر: (ابن خلدون، 2002:419).

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، (د، ت). لسان العرب، مصر: دار المعارف.-
- 2- الفيومي أحمد بن محمد بن علي، (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لبنان: المكتبة العلمية.
- 3- مسلم أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، 1991. صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله صل الله عليه وسلم، لبنان: دار الكتب العلمية .
- 4- الأزهرى أبا منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (1978). مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- 5-الزيبيدي محمد مرتضى، (د.ت). تاج العروس، اعتنى به ووضع حواشيه، عبد المنعم إبراهيم خليل ومحمد الحسيني الزيبيدي، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 6-الجوهري إسماعيل حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
- 7_ حاجي خليفة، (د.ت)، كشف الظنون عن أسماء الكتب، لبنان: دار إحياء التراث العربي .
- 8_ أحمد بابا التنبكتي، (2000)، نيل الابتهاج بتطريز الدباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة وآخر، الرباط: منشورات الدعوة الإسلامية.
- 9-المقري أحمد بن محمد التلمساني، (1968)، نفح الطيب تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
- 10_ محمد بوشقيف، (2011)، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ الوسيط، إشراف: لخضر عبدلي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،
- 11_ أحمد الهاشمي، (2017)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
- 12-ابن حجر العسقلاني، (د.ت)، أبناء الغمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: دار الكتب 12
- 13-القلصادي، (1978)، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الاجفان، تونس: الشركة التونسية للتوزيع
- 14_ ابن حجر العسقلاني، (1972) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعبد الضان، الهند: دائرة مجلس المعارف العثمانية
- 15_ الحفناوي، (1906) تعريف الخلق برجال السلف، الجزائر: مطبعة بيبير فونتانة الشرقية.
- 16_ ابن مرزوق، (2008)، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، الدار البيضاء_ المغرب: مطبعة النجاح الجديدة ..
- 17_ ابن الخطيب، (2002) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال سانة، الجزائر: المكتبة الثقافية الدينية.
- 18_ عادل نويهض، (1980)، معجم أعلام الجزائر، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

- 19_ شمس الدين السخاوي، (2003)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تحقيق: نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة، مصر: مطبعة دار الكتب العلمية.
- 20- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرموق في بيان أحوال العلوم، دار الكتب.
- 21- عبد الرحمان ابن خلدون، (2002)، المقدمة، اعنتى به: مصطفى شيخ مصطفى، دمشق، مؤسسة الرسالة.
- 22- عبيدة معمر بن مثنى، (1981)، مجاز القران، تحقيق: فؤاد سزكين، ط2، مصر: د.د.ن.
- 23- الشقرطيسي ابي محمد عبد الله بن أبي زكرياء التوزي، (د.ت)، القصيدة الشقرطيسية في مدح خير البرية، تونس: دار الامام ابن عرفة.
- 24- البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، (2002)، صحيح البخاري، دمشق، دار ابن الكثير للطباعة والنشر والتوزيع.
- 25- مسلم بن الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (1991)، صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله، بيروت، دار الكتب العلمية.
- 26 - ابن حجر العسقلاني، (2013)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب أرناؤوط، مصر، دار الرسالة العالمية.